



# صفوة البيان لمعاني القرآن

تفسير القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ العلامة

الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

قرأه وعلق عليه:

الدكتور أحمد محمد الفاضل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم في الدراسات العليا

كلية العلوم الإسلامية - جامعة السلطان محمد الفاتح في اسطنبول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

كلمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالهدى والبينات سراجاً منيراً، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين حفظوا كتاب ربهم وحملوه إلى البشرية، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ .

وبعد....

فإن أشرف ما تنفق فيه الأوقات، ويتنافس فيه أصحاب الهمم والمروءات، العلم الذي هو حياة القلوب، ونور العقول، أجل العلوم شرفاً، وأعلاها مناراً، وأنفعها للبشرية، علوم الشريعة، التي بها يصلح شأن العباد، ويحصل الفلاح في المعاد، وأعظم هذه العلوم وأنفعها، بل سيدها ورأسها علم التفسير، كيف لا؟! وموضوعه كتاب الله، حبل الله المتين، والصراط المستقيم، الذي من تمسك به اهتدى، ومن أعرض عنه ضلَّ وغوى.

وقد تسابق العلماء -قديماً وحديثاً- في ميدان هذا العلم الشريف، فمنهم من أحرز فيه قصب السبق، وشرف نشر نور كتاب الله بين الخلق، ومن أولئك فضيلة الشيخ الأستاذ حسنين محمد مخلوف -مفتي الديار المصرية سابقاً- الذي فتح الله تعالى عليه بهذا التفسير المبارك الذي يمتاز بما يلي:

1- وضوح العبارة، ودقة اختيار المعنى المناسب من بين أقوال المفسرين.

2- الاختصار غير المخل بالقصد، البعيد عن التعمية والإلغاز.

3- الروح المشرقة، التي تدل على صدق المؤلف.

4- التعبير العصري، من غير انحدار إلى درجة الإسفاف.

ولما كان من أهداف الوزارة نشر علم كتاب الله بين الناس؛ ليتفقهوا في دينهم، ولتستنير بصائرهم، فقد رأت إعادة طبع هذا الكتاب النافع، فاستأذنت

الشيخ الفاضل حفظه الله، فأذن -جزاه الله خيراً- بذلك مجاناً، ابتغاء وجه الله تعالى، وطلباً للأجر والمثوبة.

فنسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفع به كاتبه وناشره وقارئه، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الكويت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَقْدَمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

الحمد لله الذي أنزل القرآن هُدىً ونوراً، وأرسل به رسوله الأعظم مبشراً ونذيراً؛ فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، واهتدى به من استمسك بهديه فسعد، وضلَّ عن الحقِّ من أعرض عنه فبعُد. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ومُجتباه، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه، ومن والاه.

أمَّا بعد، فإنَّ القرآن العظيم كتابُ اللهِ، أوحى به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله، بلاغاً للناس ولينذروا به، وليعلموا أنما هو إله واحد، ولينذُر أولو الألباب، وأودعه من العقائد والعبادات، والأحكام والحكم، وفنون العلوم وأصول الفضائل؛ ما به قِوامُ المِلَّةِ الكاملة، والأُمَّةِ الفاضلة، والدَّولةِ الرَّاشدة، وما به سعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة، فكان أفضل الكتب السَّماويَّةِ وأجمعها للخير، وأوفاهما بحاجة البشر، وأبقاها على الدَّهر، مصدِّقاً لها، ومُهيمناً عليها، وكان دعوةَ الحقِّ لسائر الخلق إلى يوم الدِّين، لا قبول للإيمان إلَّا به، ولا نجاة في الآخرة إلَّا باتِّباعه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقد أنزله على رسوله محمَّد ﷺ بلسان عربيٍّ مبين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ، وكان قومه أئمةَ البيان، وفرسان البلاغة، وأعلام الفصاحة؛ فبهرهم بآياته البَيِّنة، وحججه الدَّامغة، وحكمه البالغة، وأخباره الصَّادقة، وفصاحة لفظه، ورياسة تظُّمِهِ، وبلاغة أسلوبه؛ فخرُّوا له سُجداً، وأذعنوا له خُضوعاً، وأيقنوا أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب رسوله العظيم؛ ليكون من المنذرين، إلَّا مَنْ فسدت فطرته، وضعفت مُنته، واتَّخذ إلهه هواه؛ فجحد عناداً، وأبى استكباراً أن يؤمن به ويُذعن له، فما إنَّ تحدَّاهم بقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَعْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ ، وبأن يأتوا بسورة من مثله، فصاحة

وبلاغة، ونظماً وحُكماً، وأحكاماً وأمثالاً، ومواعظ وقصصاً، وأغراضاً ومرامياً، حتى ألقوا باليدين عجزاً، وولوا الأدبار هزيمة، ونكصوا على الأعقاب هرباً.

فهو المعجزة الكبرى، الدالة على صدق الرسالة، والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد والإسلام، القائمة ما بقي الدهر. وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل، والتغيير والمعارضة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَمَتَّ كَلِمَةَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ؛ فلا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

وها هو ذا، قد مضى من وقت نزوله أربعة عشر قرناً، ولا يزال كما وعد الله محفوظاً في الصدور، مقروءاً بالألسنة، مكتوباً في المصاحف كما أنزل، لم يُعَيَّر فيه عمّا أنزل حرف ولا كلمة ولا ترتيب، ولم يستطع أحد - كائناً من كان - أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه؛ وسيبقى محفوظاً كما أنزل إلى آخر الدهر، إيماناً بصدق الخبر، والوعد الحق.

وكيف لا؟ وهو حجة الله على خلقه إلى انقضاء الدنيا، ودعوته القائمة إلى آخر الزمان، ورسالته العظمى إلى البشر؛ ما بقي التكليف بالشرعية المحمدية، الخاتمة لجميع الشرائع السماوية.

ومن عناية الله به ورحمته بخلقه، أن يجعل القرآن محفوظاً في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع، يرويه الخلف عن السلف بألفاظه وحروفه المنزلة، وكيفيات أدائه المروية عن الرسول ﷺ بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط، ووفق له في كل عصر حقاً متقين، وأئمة ثقات اختصوا بحفظه ونقله وروايته، ودراسة علومه وفنونه، وتفسيره روايةً ودرايةً، وتدوين تفسيره من جهة أحكامه، ومن جهة إعرابه، ومن جهة بلاغته وإعجازه، ومن جهة قصصه وأخباره، ومن جهة أمثاله ومواعظه، ومن جهة تعاليمه ومبادئه، ومن جهة قراءاته، ومن جهة ألفاظه ولغته؛ إلى غير ذلك من الجهات.

وقد أيقظ القرآن الفكرَ الإنسانيَّ من رقاده، وحركه من جموده، وأزاح عنه رَيْنَ الجهالة، ووجهه إلى العلم، وعلمه سلوكَ مناهج الحياة، وفتح للعقول أبواباً من العلوم، وسلك بها سُبُلًا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل؛ فكانت نوراً وهدىً للناس في سائر العصور، وكان القرآن - كما ورد - مآدبة الله لخلقه، يطعم منها من يشاء بما يشاء، ويُفيد منها كلُّ إنسان بقدر استعداده، وتهيئُ فطرته لقبول فيضه.

وكان المسلمون - بدراسة هذه العلوم وتدوينها، وإرساء قواعدها، وتقدير أحكامها، وتفريع أصولها - الرُّوَادَ الأوَّلَ في مجال البحث، والقادة الفاتحين في مجال العلم والعرفان.

وقد ورد عن النبي ﷺ وعن أصحابه والتابعين حثُّ المسلمين في كلِّ العصور على أن يتَّخذوا إمامهم القرآن، يهتدون بهديه، ويخضعون لحكمه، ويجتهدون في تعلُّمه، وتفهُم أسراره، وتدبُّر معانيه؛ كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ ، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ، وما رواه أبو هريرة مرفوعاً: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبها»، وإعرابها: معرفة معاني ألفاظها؛ لا إعراب المصطلح عليه عند النُّحاة المقابل للحن؛ لأنَّ القراءة مع فقدته ليست قراءة ولا ثواب لها. والتماسُ غرائبها: طلبُ معرفة هذه المعاني من مصادرها، وهي الرواية واللغة الفصحى.

وفي القرطبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن فلم يُعربه وُكِّلَ به ملكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وُكِّلَ به ملكان يكتبان له بكلِّ حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وُكِّلَ به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة».

وعن إياس بن معاوية: مَثَلُ الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كَمَثَلِ قوم جاءهم كتاب من مَليكَهم ليلاً وليس عندهم مصباح؛ فتداخلتهم روعةً، ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح، فقرأوا ما في الكتاب.

فقارئ القرآن وسامعُه ينبغي له أن يعرف تفسير ما يحتاج إلى التفسير من آياته؛ إذ كانت هي الصراط المستقيم، وهي النور والهدى، وهي الحجة والبرهان، وهي أصل كل علم ومنبع كل خير، وأن يلتبس حقائق مفرداته ومعانيها المستعملة فيها، التي يتوقف على معرفتها فهم آياته، بل الفهم في كل علم؛ إذ ألفاظ القرآن كما قال الراغب: (لُبُّ كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرامته، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكامهم، والحكماء في حكَمهم، وإليها مفرغُ حُذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم)، وكلها في الفصاحة بالمحلِّ الأرفع، ولها الصدارة التي لا تُدفع، ومنها ألفاظ لا يقف على معانيها إلا الراسخون في اللغة، المتمرسون بأساليب العرب وهجاءهم؛ مثل: حناناً وأباً والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغسلين وسجين وأواه وافتح بيننا ويؤفكون ويصرفون وسويّاً وكأين والقمّل والمثلثات والنكّال وأغطش وأحوى وهمزة لُمزة والقلق والغسق وضبحاً وكثود وفاكهيّن، ونحو ذلك، وتسمّى «غرائب القرآن»، وقد عُني بشرحها وبيان معانيها الوضعية، وما أريد بها في الآيات المشتملة عليها أئمة اللغة والتفسير؛ كأبي عُبيدة، وابن ذُرَيْد، والزجاج، والقراء، والأخفش، وابن الأنباري، والرّاعب، والسّجستاني، وأضرابهم، وفي ذلك مطوّلات ومختصرات.

وقد رَغِبَ إليّ كثيرٌ من طُلاب العِلْم أن أضع تفسيراً للقرآن الكريم، واضح العبارة، داني المجتئى، مقتصرّاً على ما لا بدّ من تفسيره من الآيات والمفردات، يُستغنى به عن استيعاب المطوّلات - وفيها من تشعُّب المباحث وكثرة الأقوال ما قد يعسر معه استخلاص المعاني القرآنية منها على من لم يألَف أساليبها واصطلاحاتها - كما يُستغنى به عن المختصرات التي يَدِقُّ على الأذهان فهمها، وتنبو عنها إشاراتها.

فاستخرت الله تعالى على ضعفي وصعوبة المقام في وضعه، مستعيناً بجُؤله وقوّته، وهو خير معين، متوكلاً عليه، وهو نعم الوكيل، مبتهلاً إليه عزّ شأنه أن يوفّقني للصواب، ويحفظني مما يُدْمُ ويُعبأ، ويُقيل عثرتي يوم الحساب.

وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وافياً على ترتيب النظم الكريم، لا على ترتيب المعاجم اللغوية؛ يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع، مع بيان معنى بعض الآيات التي انتظمت هذه المفردات.

ولدى إعادة النظر فيه، وجدتُ الحاجة ماسّة إلى تفسير آيات أخرى على النَّحو الذي قصدت، وإن لم تشتمل على غريب القرآن، فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به، واكتمل من الجميع هذا التفسيرُ الذي سمّيته: «صفوة البيان لمعاني القرآن» راجياً من الله تعالى النفع به؛ كما نفع بأصوله، والمثوبة عليه يوم الجزاء، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه تعالى خير مرجوّ، وأكرم مسؤول.

راجي عفو ربّه الرؤوف

**حسنين محمد مخلوف**

مُفتي الديار المصرية السّابق

وَعَضو جَماعة كبار العُلَماء

## مقدمة

تشتمل على مسائل ينبغي معرفتها

### الأولى- في المكِّي والمدنيّ:

أشهر الأقوال في تعريف المَكِّي والمدنيّ: أن المَكِّي ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها؛ كمنى وعرفات والحُدَيْبِيَّة، ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي ﷺ.

والمدنيّ: ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها؛ كبدر وأُحُد وسُئع، ومنه ما نزل بمكة عام الفتح، أو عام حَجَّة الوداع، وما نزل في سفر من الأسفار بعد الهجرة.

والمرجع في معرفة المَكِّي والمدنيّ إلى حفظ الصحابة والتابعين، ومعرفته تُعين على معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ.

### الثانية- في معنى السورة:

السورة طائفة من القرآن، لها ابتداء وانتهاء، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبي ﷺ، مأخوذ من سور المدينة؛ لاحتوائها على فنون من العلوم، احتواءً سُور المدينة على ما فيها، أو لارتفاع رتبها كارتفاعه، أو من السُورة، وهي المنزلة الرفيعة، أو من التَّسْوِير، وهو العلوُّ والارتفاع؛ لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى.

وأجمعوا على أن عدد سُور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، ومن عدّها مائة وثلاث عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة.

والحكمة في تسوير القرآن سُوراً أن يكون أنشط للقارئ، وأبعث على التحصيل، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً، وفي التسوير إشارةً إلى أن كلَّ سورة نمطٌ مستقل.

### الثالثة- في ترتيب الآيات والسُور وتسميتها:

ترتيب الآيات في السُّور بتوقيف منه ﷺ، وبأمره إجماعاً، وترتيبُ السُّور توقيفيٌّ عند الجمهور، قال أبو بكر الأنباري: (إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمته الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور، لم يقدّم من ذلك مؤخّر، ولا أُجّر منه مقدّم، وأن الأمة ضبطت عن النبي ﷺ ترتيب آي السور كلها ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة).

وقال البغوي: (إن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً؛ خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله ﷺ من غير أن قدّموا شيئاً أو أخّروا شيئاً، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه منه ﷺ، وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل عليه الصلاة والسلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أنّ هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا). ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية.

وقال ابن الحصّار: (ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف).

#### الرابعة- في المحكم والمتشابه:

من آيات القرآن آياتٌ محكمات هنّ أم الكتاب وأصله، وأخرٌ متشابهات. والمحكم: ما عُرف المعنى المراد منه، والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه؛ كقيام الساعة، والحروف المقطّعة في فواتح السُّور. وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهاً واحداً، والمتشابه: ما احتمل أوجهاً عديدة، واحتاج إلى النظر؛ لحملة على الوجه المطابق.

وقيل: المحكم ما اتضح معناه، والمتشابه بخلافه، وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما، وسيأتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران. وجعل الخطابي المتشابه على ضربين: أحدهما ما إذا رُذِّ إلى المحكم واعتبر به عُرف معناه، والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته، فمن المتشابه ما يمكن الاطلاع على معناه، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

ومن المتشابه آيات الصفات؛ نحو: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾، ﴿يُدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، ومنه أحاديث الصفات.

ومذهب جمهور أهل السنة - ومنهم سفيان الثوري وابن المبارك وابن عيينة ووكيع، والأئمة الأربعة - أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها؛ لاستحالة مشابته تعالى للحوادث، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

عن أم سلمة - رضي الله عنها - في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به من الإيمان، والجحود به كفر.

وعن مالك فيه: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وعن محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامهم.

وقال إمام الحرمين أخيراً في الرسالة النظامية: الذي نرتضيه ديناً، وندين به عقداً، اتباع سلف الأمة؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها.

ومن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم ومن تبعهما، وكثير من المفسرين كالبغوي والرازي والجلالين والآلوسي، وصاحب فتح البيان، وغيرهم.

وذهبت طائفة من أهل السنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى، مع تنزيهه عن حقيقتها؛ وهو مذهب الخلف. وقال الإمام الرازي: إن الذي اختاره الأئمة المحققون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال.

ومن المتشابه: الحروف المقطعة في أوائل السور؛ فقد افتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم؛ وهي: الألف واللام، والميم والصاد، والراء والكاف، والهاء والياء، والعين والطاء، والسين والحاء، والقاف والنون. فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاث عشرة، وبالحاء والميم سبع، وبالطاء أربع، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة، وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي، وهو: ص، ق، ن، وبعضها ثنائي، وهو: طه، وطس، ويس، وحم، وبعضها ثلاثي، وهو: الم، والر، وطسم، وبعضها رباعي، وهو: المص، والمر، وبعضها خماسي، وهو: كهيعص، وحم عسق، ولا تزيد على ذلك. والمختار فيها - كما ذكره الجلال في «الإتقان» - أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

وعن أبي بكر الصديق: في كل كتاب سِرٍّ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور. وعن ابن عباس: عجزت العلماء عن إدراكها، وعن الشعبي: هي سِرُّ الله، فلا تطلبوه، ومن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وسفيان والربيع. وخاض في معناها آخرون؛ فقال بعضهم: إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد، تدلُّ به على الكلمة التي هو منها، وقيل: هي أسماء للسور، قال الرَّحْمَنِيُّ: وعليه إطباق الأكثر.

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السور مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقيل: إنما ذكرت في مفتتح السور بياناً لإعجاز القرآن، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها، وقد عجز الخلق عن معارضته؛ فلو لم يكن وحياً من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته، حكاة الرازي عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاة القرطبي عن الفراء، ورجَّحه الزمخشري، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزيّ.

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد، منها في المتشابه الذي يمكن علمه: أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وهي توجب مزيد الثواب، ومنها: ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن؛ إذ لو كان كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر، لاستوت منازل الخلق فيه، ولم يظهر فضل العالم على غيره، ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه: ابتلاء العباد بالوقوف عنده، والتوقف فيه، والتفويض والتسليم، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة، وإقامة الحجة عليهم؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم، دلَّ على أنه منزل من عند الله تعالى.

#### الخامسة- في أقسام القرآن:

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين، وجاء فيه مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين، وفي تقرير الحقائق، والكشف عن الدقائق، وبيان عظيم قدرته تعالى، وبداع صنعته، وبالغ حكمته، وعظمة ملكه، وسننه في خلقه بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، يصرف الآيات للناس لعلمهم يفقهون، ويضرب لهم الأمثال لعلمهم يتدكَّرون، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطبتهم ومحاوراتهم؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن، أو الكثير النفع، أو الظاهر الفضل.

وتوكيد الكلام بالقسم إذا اقتضاه الحال أسلوب بليغ رصين، والله تعالى أن يقسم بما شاء، فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبع مواضع؛ لتقرير وجوب الإيمان

به، والطاعة له، وأقسم بأفعاله العجيبة، ومصنوعاته البديعة، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا\* وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾، ﴿وَالطُّورِ\* وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾، ﴿وَالضُّحَى\* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، ﴿وَالْفَجْرِ\* وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، والقسَمُ بها في معنى القَسَمِ به تعالى؛ إذ هو صانعها ومبدعها.

قال ابن القيم: إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته، ويُقسم ببعض مخلوقاته؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته.

وقد يأتي في القرآن بالقَسَمِ الظاهر كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى\* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، ﴿تَاللَّهِ لِنَسَأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، وقد يأتي بنحو قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، وبنحو قوله: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾.

وقد أقسم تعالى على التوحيد، وعلى أن القرآن حق، وعلى أن الرسول حق، وعلى الوعد والوعيد والجزاء، وعلى حال الإنسان وطبيعته، وكثيراً ما يُذكر جواب القَسَمِ، وقد يحذف للعلم به، أو لوجود ما يدلُّ عليه.

وبالتأمل في كل قَسَمٍ من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المقسَم عليه، وهو نوع بديع من وجوه بلاغة القرآن.

### السادسة- في الاستعاذة:

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهّر القلب، وتطرد عنه الوسوس والهواجس، وخواطر السوء؛ كان من السنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾، فيقول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ على ما اختاره مالك وأبو حنيفة والشافعي، أو أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم؛ على ما اختاره أحمد رضي الله عنهم، أي: ألتجئ إلى الله تعالى، وأستجير به، وأتحصن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى؛ يقال: عُدْتُ بفلان، واستعدت به؛ أي التجأت إليه وتعلّقت به، ومنه: أعيدك بالله أن تفعل كذا، ومعادَ الله، وعبادَ الله.

### السابعة- في البسملة:

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة ليست من آية الفاتحة، ولا من غيرها من السور، وإنما هي آية واحدة من القرآن، أنزلت للفصل بين السور والتبرك بها في الابتداء، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك، وذهب آخرون إلى أنها آية من الفاتحة، ومن كل سورة غير براءة، وإليه ذهب الشافعي، وأحمد في إحدى الروايتين عنه، وهذا كله في غير بسملة النمل (آية 30) فإنها جزء آية باتفاق.

### الثامنة- في التأمين:

يُنْدَب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول «آمين»؛ مفصولةً عنها بسكتة خفيفة، ومعناها: استجب يا الله، أو افعل، وليست من القرآن باتفاق؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

## صفوة البيان لمعاني القرآن

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة الفاتحة

2- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناءً أثنى الله به على نفسه، وفي ضمنه تعليم عباده كيف يُثنون عليه، وأمرهم به. وعن ابن عباس: الحمد لله هو الشُّكر لله، وهو الاستخذاء له، والإقرار بنعمته وهدايته ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مالِكهم، وكلُّ مَنْ ملك شيئاً يدعى ربّه، أو مُرَبِّهم ومتولّي أمورهم، والقائم عليهم بما يصلحهم، يقال لمن قام بإصلاح الشّيء وإتمامه: قد ربّه، ويقال: فلان يُرَبُّ صَنِيعته عند فلان إذا كان يحفظها ويربّيها عنده، وفي الحديث: «هل لك من نعمة تربّتها عليه؟» (1) أي: تحفظها وتربّيها كما يربّي الرّجل ولده، وأصل الرّب مصدر بمعنى التّربية، وهي تبليغ الشّيء إلى كماله بحسب استعداده شيئاً فشيئاً، واستعير للفاعل؛ أي: المرَبّي، والرّبُّ على الأوّل صفة ذات، وعلى الثّاني صفة فعل و﴿العالمين﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله تعالى، وسُمّي بذلك لأنّه علّم على وجود الخالق، وجمع جمع العقلاء تغليلاً.

3- (الرحمن) بما ستر في الدنيا وأفاض من الخير على خلقه (الرحيم) بما غفر في العقبى وجاد بالفضل على عباده.

4- ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ صاحب الملك في ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والحساب على الأعمال، والمتصرّف فيه بالأمر والتّهي وحده، قال تعالى: ﴿اليَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17]، ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: 25] ويقال: دنته بما صنع ديناً -بفتح الدّال وكسرهما- جزئته، وكما تدين تُدان، والله الدّيان؛ أي: المجازي.

5- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نخضع ونذلّ إلا لك، إقراراً لك بالربوبية، فلا نعبد سواك، والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل، وتستعمل بمعنى الطاعة؛ ومنه: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: 60] وبمعنى الدعاء؛ ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

(1) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (2567)

عِبَادَتِي ﴿غافر: 60﴾ وبمعنى التوحيد؛ ومنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] وكلها متقاربة المعنى. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا نستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك في جميع أمورنا، مخلصين لك، فلا نستعين بغيرك؛ وفي الحديث: «وإذا استعنت فاستعن بالله»<sup>(2)</sup>، وقدِّمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة، وتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة.

6- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أرشدنا إلى الاستقامة على امتثال أوامرك، واجتناب نواهيك، أو أرنا طريق هدايتك الموصلة إلى قُربك، أو ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عِوَجَ له، والهداية: الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، وقيل: هي الدلالة الموصلة إليه، و«الصراط المستقيم»: الطريق السهل السوي الذي لا اعوجاج فيه، والمراد منه: الطريق الحق، أو دين الإسلام.

7- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي بطاعتك من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾. ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ رُوي مرفوعاً تفسير «المغضوب عليهم» باليهود، و«الضالين» بالنصارى<sup>(3)</sup>، قال تعالى في اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِبَشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60]. وقال تعالى في النصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77]. واليهود قد عرفوا الحق وانحرفوا عنه؛ فغضب الله عليهم، والنصارى جهلوه وعمّوا عنه؛ فضلّوا وأضلّوا. وفي حُكم اليهود والنصارى من هم

(2) جزء من حديث كثير الدوران على الألسنة، رواه الترمذي عن ابن عباس (2516) وقال: حديث حسن صحيح.

(3) رواه الإمام أحمد في المسند (20351) ط الرسالة

على شاكلتهم من أهل النَّحْلِ الأخرى من غير المسلمين. والغضب: صفة أثبتها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته؛ نؤمن بها، ونفوض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه، عن مشابهة مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث، وأثرها الانتقام والعذاب. والضلال: العدول عن الطريق السَّوِيِّ، والدَّهَاب عن سَنَنِ القصد، وطريق الحق؛ ومنه: ضَلَّ اللَّبَنُ في الماء إذا غاب.

### سورة البقرة

1- ﴿الم﴾ [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص «و»].

2- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ ذلك الكتاب الكامل، وهو القرآن العظيم، والكتاب مصدر كَتَبَ كالكَتَبَ، وأصل الكَتَبَ ضَمُّ أديم إلى أديم بالحياطة؛ واستعمل عُرفاً في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخطِّ، وأريدَ به هنا المنظومُ عبارةً قبل أن تُنظَمَ حروفه التي يتألف منها في الخطِّ؛ تسميةً للشيء باسم ما يؤول إليه. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي ليس هذا الكتاب محلاً لأن يرتاب عاقلٌ منصفٌ في أنه منزلٌ من عند الله، أو في هدايته للبشر؛ لأن معه من الدلائل ما لو تأمله لم يتطرق إلى نفسه أدنى شك في ذلك، والرَّيْبُ: الشكُّ والظنُّ والتهمة، مصدر رابه الأمر إذا حصل عنده فيه ريبة، وقال ابن الأثير: هو الشك مع التهمة. ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ هو هداية وإرشاد لهم، مصدر هداه هُدًى وهدايةً وهديةً - بكسرهما - فهدى، ومعناه الدلالة الموصلة إلى البُغية، وضده الضلال، والمتَّقون: هم الذين يجتنبون كلَّ ما يُؤثِّم من قول أو فعل، أو يمتثلون ما أمر الله به ويجتنبون ما نهى عنه؛ وقايةً لأنفسهم من عذاب الله وسخطه، جمع مُتَّقٍ، اسم فاعل من اتَّقَى، وأصله اؤْتَقَى - بوزن افتعل - من وقى الشيء وقايةً؛ أي: صانه وحفظه مما يضرُّه ويؤذيه، فإذا بنيت منه افتعل قلبت الواو تاءً وأدغمت في التاء الأخرى فصارت اتَّقَى، وخصَّ المتقين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون به.

3- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ يصدِّقون بما غاب عن حواسهم؛ كالصانع وصفاته، واليوم الآخر وما فيه من البعث والحساب والجزاء، والإيمان لغةً: التصديق والإدعان، وهو إفعال من الأيمن؛ كأن حقيقة قولهم: آمن به آمنه التكذيب

والمخالفة، وشرعاً: التصديق بما عُلم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ؛ كالتوحيد والنبوة والمعاد والجزاء. والعَيْبُ: مصدر غاب، أقيم مقام اسم الفاعل، وهو غائب، مبالغةً يجعله كأنه هو، وهو الخفي الذي لا يدركه الحسُّ، ولا تقتضيه بديهَةُ العَقْل، وإنما يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، ومنه ما لم يُنصَب عليه دليل، وهو الذي استأثر الله تعالى بعلمه كالقدر، ومنه ما نُصبت عليه الدلائل؛ كوجود الصانع وصفاته، والباء صلة للإيمان لتضمينه معنى الاعتراف. ﴿وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يعَدِّلون أركانها، ويوفون شرائطها، ويحفظونها من أن يقع زَيْغ في أفعالها، من أقام العودَ إقامة إذا أزال عِوجه؛ كقَوْمه. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ومما أعطيناهم ومَلَكناهم يتصدَّقون في سُبُل الخير تطوعاً أو فَرَضاً، من الإنفاق، وهو إخراج المال وإنفاده وصرفه، يقال: نَفَقَ - كفَرِحَ ونَصَرَ - نَفِدَ وَفِيَّ أو قَلَّ، وأنفق ماله أنفده، والهمزة للتعدية، وأصل المادة يدلُّ على الخروج والذهاب، ومنه: نافق فلان، والتَّافِقَاءُ، والتَّنْفَقُ.

4- ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وبالنشأة الآخرة هم يعلمون علماً قطعياً، لا أثر فيه للادعاءات الكاذبة والأوهام، من الإيقان، وهو التحقُّق؛ يقال: يَيقِنُ الماءُ إذا سكن وظهر ما تحته، وهو اليقين: العلم وزوال الشك؛ يقال: يَيقِنْتُ - بالكسر - يَيقِنًا، وأَيقِنْتُ وتَيقِنْتُ واستَيقِنْتُ بمعنى واحد، وهو درجة من العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما، يصحبها ثباتُ الحُكْم وسكون النَّفس وطمأنينتها.

5- ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بما طلبوا، الناجون مما منه هربوا، من الفلاح، وهو الفوز والظفر بذكر البُعْية، وأصله من الفلح - بسكون اللام - وهو الشقُّ والقطع؛ ومنه فلاحه الأرض، وهو شقها للحرث، واستعمل منه الفلاح في الفوز؛ كأنَّ الفائز شقَّ طريقه وفلحه للوصول إلى البُعْية، أو انفتحت له طريق الظفر وانشقت.

6- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا الرسالة، والمراد بهم هنا المشركون؛ لذكورهم بعد المؤمنين، وذكر المنافقين بعدهم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ، والكُفْرُ - بالضم - ضدُّ الإيمان، وأصله المأخوذ